مقالات تاريخية

ثورة أبى السّرايا والطالبيين
فى صدر خلافة المأمون
(سنة ١٩٩ هـ / ٢٠٠ هـ — ٨١٤ م / ٨١٥ م)

بقلم د السيد أحمد الشيخ عمر
أستاذ التاريخ والحضارة المساعد
بجامعة الأزهـــر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد النبي . وآله الطاهرين . وصحابته أجمعين . وسلم .

وبعد : فيطيب لي أن أنوه في كلمة بين يدي هذا البحث بأن بني هاشم(١) - منذ مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته - باتوا يفكرون في نيل الخلافة . ولبثوا كذلك نحو ربع قرن حتى اختير لها الإمام علي بن أبي طالب سنة ٣٥ هـ / سنة ٦٥٥ م . ثم انتزعها منهم الأمويون بعد حين . لكنهم لم يغفلوا طلبها . برغم تربص الأمويين بهم . فسلك العلويون منهم السبيل المحفوفة بالأخطار غير مرة جهاراً نهاراً . فلم يحظوا بها . أما بنو عمومتهم العباسيون فقد كانوا أحوط منهم في طلبها حيث التزموا السرية التامة وهم يمارسون الدعوة للرضا من آل البيت . وثابروا وصبروا . ثم أعلنوها . وما هي إلا فترة حتى قامت دولتهم العباسية سنة ١٣٢ هـ / سنة ٧٤٩ م .

وينبغي أن نعرف أن العباسيين والعلويين كانوا قد عقدوا مؤتمراً هاشمياً بمكة(٢) المكرمة سنة ١٢٧هـ/ سنة ٧٤٤م إبان اضطراب حبل الدولة الأموية بالشرق . وكان من بين أعضائه العباسيين أبو العباس عبد

---

(١) العباسيون منهم والطالبيون (علويون وجعفريون وعقيليون) . وقد درج المؤرخون - حين ذكر الطالبيين أن يعبروا عنهم بالعلويين والعكس .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٦ ص ٢١٠ ، ٢١٨ .

الله (١) . وأخوه لأبيه أبو جعفر عبد الله(٢) .

ومن بين ممثليه العلويين ـ من نسل الحسن ـ عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب . وإبناه محمد النفس الزكية . وإبراهيم . ـ ومن نسل الحسين ـ جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان من جملة قرارات المؤتمر أن تكون دعوة الهاشميين (علويين وعباسيين) معاً للرضا من آل البيت . طمعا في الخلافة . وإذا أينعت ثمارها ، ودان قطافها ، وآتت أكلها بقيام الدولة يترأسها ويتولى الخلافة يومئذ محمد النفس الزكية العلوى(٣) ، لكن شيئا من ذلك لم يتحقق للعلويين ، فلم يفكر فيهم العباسيون حين قامت دولتهم على أنقاض الدولة الأموية بالشرق .

يقول بعض المؤرخين : (حتى إذا خدم السيف العباسيين ، رأوا أن ينفردوا بالخلافة دون العلويين ، ويصرفوهم عنها بالحيلة)(٤) .

ونتيجة لهذه الخدعة بات العلويون يضربون كفاً بكف ، وتعزوا بالصبر عما انتابهم . ولتسرى قليلا عن أنفسهم رأوا مؤقتاً أن صرف الملك عن خصومهم الأمويين وانتزاعه منهم جهد مشكور بدل فيه بنوعمومتهم العباسيون الكثير الذى أضناهم ، لهذا خلدوا إلى السكينة حينا حتى تنجلى الأمور ، ثم صارت لهم مواقف لينة أحيانا، ومتشددة

---

(١) الملقب فيما بعد بالسفاح ، وهو أول خلفاء الدولة العباسية .

(٢) الملقب فيما بعد بالمنصور ؛ وهو ثانى خلفاء الدولة العباسية والمؤسس الحقيقى لها .

(٣) الفخرى لابى طباطبا ص ١٤٦ ، ودائرة المعارف الإسلامية ج٤ ص ٣٨، ٢٩، ودراسات فى التاريخ الإسلامى للدكتور محمود زيادة ج٣ ص٥٣ ، وشذرات من تاريخ الدولة الأموية فى الشرق للمؤلف ص ١١١ ، ١٣٩ .

(٤) حضارة الإسلام فى دار السلام لجميل نخلة المدور ، ص ١١٠ .

أخرى ، كان يحددها نوع السلوك من طرفهم كعلويين طامعين فى السيادة والملك ، ومن جانب خليفة العصر من بنى عمومتهم العباسيين طوال الفترة من قيام الدولة العباسية حتى السنوات الأولى من خلافة المأمون سنة ١٩٨ هـ / سنة ٨١٣ م وما بعدها ، لأن الأمين حين انقتل ببغداد(١) فى أواخر المحرم سنة ١٩٨هـ /سنة ٨١٣م ، وتولى الخلافة على أثره أخوه لأبيه المأمون(٢) ، الذى كان على حد تعبيره عن نفسه (تحسده بنو هاشم كلها)(٣) ظل مقيما (٤) بمرو(٥) عاصمة إقليم خراسان(٦) وقتئذ ، بعيداً عن بغداد حاضرة دولتهم العباسية ، ومركز الخلافة الإسلامية .

وعاصمة ملك آبائه وأجداده ، لهذا انتهز بنو عمومته العلويون تلك

---

(١) بغداد : مدينة السلام ، على نهر دجلة بالعراق ، وكانت أم الدنيا ، وسيدة البلاد وكانت حاضرة الدولة العباسية ، والآن عاصمة العراق (المعجم الوسيط جـ١ص٦٤) .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب جـ ١ص١٨٣ — ١٩٢

(٣) أخبار الأول ، فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول للاسحاقى ، ص٦٩

(٤) دامت إقامته فى مرو عاصمة إقليم خراسان وبيضته وقتئذ نحو خمس سنين ، بدأت من يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة١٩٨هـ/٨١٣م — حيث بويع بها بوقتئذ البيعة العامة بالخلافة ، وإن كان قد سلم عليه بها فى خراسان قبل ذلك بنحو عامين إبان الشقاق بينه وبين اخيه الأمين ـ وانتهت بدخوله بغداد فى منتصف صفر سنة٢٠٤هـ/ ٨١٩م فلبث بها حتى انتهت خلافته بوفاته سنة ٢١٨/٨٣٣م (تاريخ بغداد الخطيب جـ ١ ص ١٨٣ — ١٩٢) .

(٥) مرو : كانت أشهر مدن خراسان وعاصمتها ، وأقدمها ، وتقع اليوم فى لاتحاد السوفياتى (مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٢٦٢) .

(٦) خراسان : بلاد واسعة مشهورة وراء نهر جيحون . تقع اليوم فى الشمال الشرقى لإيران . وفى جنوب الاتحاد السوفياتى . وفى غرب أفغانستان .

الفرصة ، فضاعفوا(١) من جهودهم فى الدعوة والثورة ضده بخاصة ، والعباسيين بعامة ، مدّعين أحقيتهم فى إقامة دولة علوية لم يمكنهم العباسيون من تكوينها سلفا وحالا ، وقد استعانوا على ذلك إبان ثورتهم بإعلان دعوتهم للرضا من آل البيت : ومؤازرتها باللسان والسنان ، فأتوا فى هذا السبيل - طوال غيبة المأمون فى خراسان - بالعجائب التى سرعان ما جذبت أفئدة الجماهير فى منطقة الكوفة (٢) نحوهم ، بل ومكنتهم بواسطة جنودهم البواسل ، وقائد قواتهم الملهم أبى السرايا من الاستيلاء على مراكز هامة بالعراق (٣) وما إليه ، وإدارتها بعمالهم لحسابهم ، وسك نقود باسمهم للتعامل بها ، إلى غير ذلك مما انتظمه هذا البحث المتواضع بشأن انشقاقهم على الخليفة المأمون - زينة أولاد الرشيد(٤) - فى بداية عصره ، وموقفه منهم ومن أبى السرايا ، والصفحات التالية ستوافينا بالكثير من مناوأتهم للمأمون ، وموقفه وبطانته منهم باستمرار ، فإلى عرض صور من ذلك .

د . السيد أحمد إبراهيم حمور

---

(١) كان للعلويين نشاط ثورى ضد العباسيين إبان الشقاق بين الأخوين (الأمين والمأمون) .

(٢) الكوفة : المصر المشهور على نهر الفرات بأرض بابل من سواد العراق (مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١١٨٧) .

(٣) العراق : إقليم مشهور . يقع بين الموصل وعبادان طولا . وعذيب القادسية وحلوان عرضا . والآن جمهورية عاصمتها بغداد (معجم البلدان لياقوت جـ ٤ ص ٩٣ ، ومراصد الاطلاع للبغدادى جـ ٢ ص ٩٢٦ ، والمصباح المنير للفيومى جـ ٢ ص ٢٥ ؛ وأخبار الدول للقرمانى جـ ٦ ص ٢٣٦) .

(٤) حضارة الإسلام للدورى ص ١٢٢ .

الفصل الأول

خروج الحسن البرشي العلوي داعيا للرضا من آل البيت :

يروى بعض المؤرخين أن الخليفة المأمون - بالرغم من أن عصره كان غرة فى جبين الدولة العباسية - لم يكن الشخصية السياسية المرموقة.(١) بقدر ما كان الشخصية الأدبية ، فقد بذل أقصى الجهود فى تنمية جهان النهضة العلمية ، وتغذيته بكافة ما يتطلبه ، حتى راجت سوق تلك الحركة العلمية تدوينا وترجمة ، فبلغت فى عصره أوجها أكثر من عصور أسلافه ، لكنه من حيث السياسة وإدارة الدولة كان قصير النظر ، فقد سيطر عليه آل سهل طوال لبثه بينهم بخراسان أول أمره بالخلافة ، وسلفا نصروه على أخيه الأمين ، وبفضل ما أوتوا من نباهة وذكاء ، ووهبوا من سياسة ودهاء حاولوا بينه - يومئذ كرئيس أعلى للدولة وخليفة للمسلمين - وبين التوجه من مرو إلى بغداد ، لذا ظل قابعا بجوارهم فترة تقدر بنحو نصف عقد(٢) ، اشتغل فيها بمهام النهضة العلمية إلى جانب القليل من أمور السياسة والإدارة .

أما الدقائق فقد وكل بها وزيرة ذا الرياستين(٣) ، الفضل بن سهل

---

(١) إن صح هذا الاتهام فنرجح أنه كان إبان وجوده بخراسان فحسب . حيث كان فى مستهل خلافته وعمره نحو الثلاثين عاماً ، ومغلوبا على أمره - إلى حد ما - من بنى سهل ، أما بعد استتبابه ببغداد ، وتضحيته بوزيره الفضل ابن سهل فلا . إذ لا يتفق قصر نظره فى السياسة والإدارة مع عظمة عصره التى أقر بها الجميع .

(٢) أى خمس سنوات .

(٣) رياسة التدبير ورياسة الحرب أو رياسة القلم ورياسة السيف .

الفارسى السرخسى ، الذى سرعان ما أسند شئون العراق العربى والشام(١) ومصر(٢) وما إليها من سائر ولايات غرب الدولة العباسية حينئذ إلى أخيه الحسن بن سهل .

ونتيجة لهذا كله صارت شئون تلك الدولة العظمى فى صدر خلافة المأمون بيد آل سهل الفارسيين وبطانتهم ، يديرونها بمعرفتهم ، الأمر الذى أغضب العرب كعنصر ، والعباسيين كأسرة هاشمية تمثل البيت الحاكم يومئذ ، وينتمى المأمون إليها ، كما شجع هذا التصرف من جانبه فى الوقت نفسه ، بنى عمومته العلويين وأتباعهم على الظهور ضده ، والمناداة بأحقيتهم فى الخلافة (٣) .

فقد تحققت تلك الظاهرة على يد أحدهم واسمه الحسن الهرشى العلوى ، الذى روى الإخباريون أنه خرج فى ذى الحجة سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م — أى فى نهاية العام الأول من سنى خلافة المأمون - بنواحى الكوفة ، يدعو إلى الرضا من آل البيت ، وزعم ذلك لسفلة الناس والجماعات الأعرابية هناك ، وظل على تلك الحال حتى شارف النيل(٤) بالعراق ، معلنا دعوته المذكورة .

---

(١) الشام . بلاد واسعة من الفرات إلى العريش طولا . ومن جبل طىء إلى البحر المتوسط عرضا ، والآن ينتظم كلا من سوريا ولبنان والأردن وفلسطين وإسرائيل .

(٢) مصر : سميت مصر باسم من أحدثها وهو مصرايم بن حام بن نوح ، فتحها عمرو بن العاص أيام عمر بن الخطاب ، وهى أشهر أن من تذكر ، وبها نهر النيل ، واليوم جمهورية عاصمتها القاهرة .

(٣) التاريخ الإسلامى العام للدكتور على إبراهيم حسن ص ٣٩٧ .

(٤) النيل ، مدينة كانت بسواد الكوفة بينها وبين بغداد ، يخترقها نهر حفره الحجاج بن يوسف من الفرات إليها وسماه النيل باسم نيل مصر (مراصد الاطلاع للخطيب ج ٣ ص ١٤١٣ ، وأخبار الدول القرمانى ج ٦ ص ١١٦) .

سوء سلوك الهرشى وأتباعه ونهايتهم :

المتبادر إلى الأذهان من فحوى هذه الدعوة حسب عنوانها أن يكون باطنها كظاهرها ، والمظنون بزعيمها العلوى كونه برداً وسلاما على الجماهير بنواحى الكوفة موطن دعوته ليكسب محبتهم وتأييدهم إياه ، لا سيما وأن الناس هناك يومئذ كانوا يئنون من خشونة سياسة العمال العباسيين معهم ، ومن إمارة الحسن بن سهل الفارسى على العراق وما يليه من سائر غرب الدولة . ويتوقون لمؤازرة أى دعوة وثورة إذا كانت عامل بناء لا معول هدم . وهذا عين ما كانوا ينتظرونه من الهرشى وبطانته . لكن العكس كان صحيحا فقد روى المؤرخون أنه وشيعته قد أغاروا على أهل القرى بمنطقة الكوفة . فاستاقوا الكثير من مواشيهم . وانتهبوا أنعامهم ، وسلبوا التجار أموالهم - كأنهم يومئذ حسبوه مالا سائبا ، أو لقمة سائغة - وجبوا الخراج(١) ، وعاثوا فى الأرض فساداً(٢) وكيف تكون الحال والنتيجة . إذا هاج هائج . أو تحرك متحرك ؟ ! إنه لابد من حدوث فتن وقلاقل ينبغى ألا يقف أمامها الحاكم مكتوف الأيدى . وهذا ما أضمرته السلطات العباسية هناك لذلك العلوى فلم يكتب لدعوته وثورته البقاء زمنا أطول من شهرين اثنين(٣) . حتى جرد لها عمال المأمون هناك - حين نبئوا بها - جيشا بقيادة أزهر بن زهير بن المسيب الضبى فى محرم سنة ١٩٩ هـ ٨١٤ م . فالتقى بالهرشى ومريديه فى حرب طاحنة بناحية الكوفة . قضى فيها

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبرى جـ١٠ ص ٢٢٦ ، والكامل لابن الأثير جـ ٦ ص ٣٠١ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ ص ٢٤٤ .

(٣) هما ذو الحجة سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م ، ومحرم سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م .

عليهم وعلى دعوتهم(١) .

وغنى عن البيان أن ذلك السلوك غير الكريم من هذا العلوى وأتباعه - وإظهارهم أمام الناس جهاراً نهاراً خلاف الأصل فى دعوتهم وقلة أنصارهم الذين ساروا فى ركابهم . وسخط الأهلين عليهم . بسبب سوء سلوكهم معهم وما استلبوه منهم - ذلك السلوك الذى درجوا عليه دون وازع من دين أو ضمير أو شعار دعوتهم . قد لفت الأنظار إليهم . فسرعان ما طوقتهم القوات العباسية وأتت على حياتهم من قواعدها . فكان جزاؤهم من جنس عملهم : ومن ناحيـــة أخرى نلاحظ مبلغ يقظة عمال الخليفة المأمون فى تلك النواحى العراقية برغم بقايا من الاضطراب السالف بينه وبين أخيـه الأمين . بل وإقامته بخراسان وهو خليفة بعيداً عن الكوفة - موطن خروج الهرشى - .

لكن هذه النكبة لم تجتث الدعوة للرضا من آل البيت من أصولها. ولم تقض القضاء التام على الثورات والفتن المؤازرة لها والتى لا يؤمن جانبها من طرف أولئك الطالبيين أيضا فى المستقبل القريب أو البعيد . والصفحات التالية ستوافينا بظواهر منها .

توقان ابن طباطبا العلوى وأبى السرايا للثورة على المأمون وأسباب ذلك :

لم تمض سوى أربعة شهور(٢) وبضعة أيام على نهاية ثورة الهرشى

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبرى جـ ١٠ ص ٢٢٧ ، والنجوم الزهراة لأبى المحاسن جـ ٢ ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٢) صفر وربيع الأول وربيع الآخر ، وجمادى الأولى ، وبضعة أيام من صدر جمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ/٨١٤ م .

وشيعته بالقضاء عليها فى ضواحى الكوفة ، حتى فوجىء الجماهير هناك بانتفاضة علوية أخرى يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ ٨١٤ م .

إلا أنها فاقت سابقتها فى القوة والصمود والشمول وطول المدة . فأضحت ثورة عارمة . وفتنة مدلهمة ـ والثورة دوماً لا عقل لها . والفتنة تعمّ ولا تخص . وتنتشر ولا تقتصر ـ لذا فقد أرهقت الدولة العباسية خلال العام الثانى وبعض الثالث من صدر خلافة المأمون . من أمرها عسرا . وكلفتها شططا فى جهات العراق ، ثم الحجاز(١) واليمن(٢) .

وكان القائم بها يكنى ابن طباطبا (٣) . متخذاً من أسلوب الدعوة للرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ومن العمل والسيرة بحكم الكتاب

---

(١) الحجاز : أرض فسيحة بين اليمن والشام ، وجبل ممتد يحجز بين غور تهامة ونجد ، قاعدتها مكة ، واليوم تتكون منها ومن نجد المملكة العربية السعودية وعاصمتها الرياض (مراصد الاطلاع للخطيب جـ ١ ص ٣٨٠ ، وأخبار الدول للقرمانى جـ ٥ ص ١٨٥ ، والمصباح المنير للفيومى جـ ١ ص ٥٧ ، والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وزملائه جـ ١ ص ١٥٨) .

(٢) اليمن : إقليم مشهور معروف ، يمثل الجزء الجنوبى من شبه جزيرة العرب ؛ وتتكون منه الان الجمهورية العربية اليمنية فى الجنوب وعاصمتها عدن ، وجمهورية اليمن الشعبية فى الشمال ، وعاصمتها صنعاء ، وسمى بذلك لأنه عن يمين الشمس حين شروقها ، أو لأنه عن يمين الكعبة ، أو لتيامنهم إليه لما تفرقت العرب من مكة ، كما سمى الشام لأخذهم الشمال (مراصد الاطلاع للبغدادى جـ ٣ ص ١٤٨٣ ، والمصباح المنير للفيومى جـ ٢ ص ١٥٤) .

(٣) وهو : محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب .

والسنة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(١) . شعاراً له وظلا وارفا يستظل فيه . وكان القيم له على أمر الحروب وتدبير المعارك وقيادة الجيش . ومدبر دولته(٢) يكنى أبا السرايا(٣) .

وما أن برز ذلك العلوى بمؤازرة هذا القيم وأتباعهما حتى انخدع أهل الكوفة بزخرف قوله . وبريق شعاره ورمز دعوته . فالتفوا من حوله . وأجمعوا على دعوته . واستوثقوا له (٤) . كما انجذبت نحوه الأفئدة من هنا وهناك . ووفـــدت عليه الأعراب من نواحى الكوفة(٥) . يقول المؤرخون : (وبايعه جميع الناس . حتى تكابسوا . وازدحموا عليه)(٦) .

وإذا كان خروج ابن طباطبا العلوى وشيعته يومئذ داعين الناس إلى صفوفهم من خلال دعوتهم المعروفة يرجع إلى ادعائهم كعلويين حقاً لهم فى المطالبة بالخلافة . وإلى عدم رضاهم كهاشميين عما أشيع

---

(١) مقاتل الطالبيين الأصفهانى ص ٥٢٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى ج ١٠ ص ٢٨٣

(٣) وهو : السرى بن منصور ، ولقبه الأصغر : كان أحد فتيان العرب المغامرين من بنى شيبان ، وبارزاً بين رجالات جيش القائد العباسى الفارسى هرثمة بن أعين وزعيم فتنة ، دعا لأحد العلويين ، وأوقع الهزيمة بجند الحسن بن سهل ، قال عن نفسه : (إنه من ولدها هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان (تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٤٥ ، وتاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى للدكتور حسن إبراهيم حسن ج ٢ ص ٧٠)

(٤) النجوم الزاهرة لأبى المحاسن ج ٢ ص ١٦٤ ، والمختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء ج ١٠ ص ٢١

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص ٢٤٤

(٦) مقاتل الطالبيين للاصفهانى ص ٥٢٣

يومئذ فى عرض البلاد وطولها من سيطرة بنى سهل الفارسيين بخراسان - بزعامة سيدهم وخليل المأمون (١) الفضل بن سهل الوزير الأمير(٢) - على الخليفة المأمون حتى بات مقيما فى كنفهم . وليس له من السلطان على شئون دولته إلا قليلا . وإلى سلوك أخيه أمير العراق وما يليه من غرب الدولة . الحسن بن سهل الذى حرك ساكن العصبية بين عنصرى العرب والعجم يومئذ . نتيجة سلوكه . وتدبير بطانته ضد الرعية فى دائرة عمله .

أقول : إذا كانت انتفاضة ابن طباطبا العلوى نتيجة لتلك الأمور وما إليها . فإن ثورة أبى السرايا معه ومؤازرته إياه - حتى تمكنا بمن انضووا تحت لواء الدعوة . وسار فى ركب الثورة يومئذ من إزعاج السلطات العباسية فى ربوع الدولة بعامة . ومناطق العراق بخاصة . وهزها بعنف . وتدويخ الجيش العباسى فى غير معركة طوال بضعة شهور من صدر خلافة المأمون - ترجع هى الأخرى إلى أمور منها :

أولا : تنفيذ الخليفة المأمون - بإيعاز من وزيره الفضل بن سهل - القرار الخاص بصرف قائده المظفر ذى اليمينين(٣) . طاهر بن الحسين ابن

---

(١) كان الفضل بن سهل - فتى من آل نوبخت - وخليل المأمون وصديقه وأعظم أصحابه عنده قدراً ، وأخصهم به ، لا يصبر على فراقه ليل أو نهار ، وإذا ركب فى موكبه أركبه معه على النجائب المخضوبة بالحناء ، وعليها الفطوع والديباج (الكامل لابن الاثير ج٥٦ ص ٨٠ ، وحضارة الإسلام للدور ، ص ١٢٤ ، ١٢٥) .

(٢) تاريخ الإسلام السياسى .. للدكتور حسن إبراهيم حسن ج ٢ ص ١٧٤

(٣) قيل له ذلك لأنه كان يعمل بكلتا يديه ، أو لأنه ضرب رجلا بشماله فقده نصفين ، أو لأنه ولى العراق وخراسان .

مصعب الخزاعى . عما كان سلفاً - عقب مقتل الأمين والإستيلاء على بغداد فى أواخر المحرم سنة ١٩٨ هـ ٨١٣ م - قد ولاه عليه من أعمال فى كل من العراق وفارس(١) والحجاز واليمن وإسناده فوراً إلى الحسن ابن سهل - أخ وزيره الفضل - وسرعة توجيهه من مرو إلى بغداد ليدير منها شئون تلك الأقاليم ، فهى عاصمة الدولة . وحاضرة الخلافة . ومقر الخلفاء العباسيين أسلاف المأمون الذى كان وقتئذ مازال مقيما بخراسان فحضر الحسن بن سهل فى غضون سنة ١٩٩ هـ ٨١٤ م . وفرق العمال . ووجه طاهراً للرقة(٢) لمحاربة بعض الخارجين هناك(٣) ولايغيب عن الذهن أن الحسن فارسى « أعجمى » وأن من يسوسهم ويقيم بينهم بعقر دارهم (عرب) وبين العنصرين منذ حين من الاشتجار(٤) مالا يخفى

---

(١) فارس: ولاية واسعة ، وإقليم فسيح ، أول حدودها من جهة العراق أرجان ، ومن جهة كرمان السيرجان ، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ، ومن جهة السند مكران ، وقصبتها شيراز . وهى مائة وخمسون فرسخا طولا ومثلها عرضا (مراصد الاطلاع للبغدادى حـ ٣ ص ١٠١٢ ، ١٠١٣) .

(٢) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات من جانبها الشرقى ببلاد الجزيرة ، كانت قاعدة ديار مضر ، وهى اليوم بسوريا وإحدى محافظتها (مراصد الاطلاع ، للبغدادى حـ ٢ ص ٦٢٦ ، وأطلس العالم لأنور الرفاعى ص ١٥) .

(٣) الكامل لابن الأثير حـ ٦ ص ١١٠ .

(٤) تمثل ذلك فى سلوك العرب مع الموالى الفرس فى العصر الأموى ، وبين الأمويين والعباسيين فى معركة الزاب . وبين عبد الله بن على العباسى وأبى مسلم الخراسانى فى نصيبين . وبين الخليفة العباسى السفاح ووزيره أبى سلمة الخلال ، وبين الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور وأبى مسلم الخراسانى . وبين الخليفة هارون الرشيد وأسرة البرامكة وبين الأخوين الأمين والمأمون . وبين أهل العراق والحسن بن سهل الفارس (الدولة العباسية للدوالف : ص ١٥١) .

على إنسان . الأمر الذى آلم أبا السرايا . وألم به وبمن هم على شاكلته فى مغامرته وغيرته العربية . لذا سرعان ما أكثروا من الحديث فيمابينهم بأن الفضل بن سهل قد فرض بمرو حول الخليفة المأمون حصارا محكما . وغلب عليه . فأنزله قصراً حجبه فيه حتى عن أهل بيته العباسى . وخاصة قواده ومن إليهم من سائر الوجهاء . وصار يأمر وينهى ويحل ويعقد على هواه . دون الرجوع إلى المأمون فى شىء . فأثار ذلك الصنيع حفيظة أهل العراق . وبالأخص بنى هاشم (عباسيين وطالبيين) ووجوه الناس هناك . فلم يصبروا بحال على تلك الأوضاع الشاذة وسرعان ما ثاروا ببغداد على الحسن بن سهل واستشرى تيار ثورتهم الجارف يومئذ وهيجان فتنتهم .

ثانيا : يقال إن خروج ذلك المغامر الشرس سنداً للطالبيين ضد الخليفة المأمون . يرجع إلى أنه كان من المعدودين والمشار إليهم بالبنان فى جند هرثمة بن أعين القائد الفارسى الملهم فى زمن الرشيد والأمين والمأمون . وحدث أن ماطله هرثمة فى أداء أرزاقه وأتباعه . وسلفاً كانوا جميعا يقبضونها بانتظام . فحمله ذلك التسويف على الغضب من سيده . وسرعان ما ارتحل بمن معه من بغداد إلى الكوفة وبها يومئذ ابن طبا طبا العلوى وشيعته فالتقيا . وفى نيتهم القيام بثورة(١) .

ثالثا : يقول المؤرخ ابن الأثير : كان سبب اجتماع ابن طباطبا بأبى السرايا . أن أبا السرايا كان يكرى الحمير . ثم قوى حاله بعد . فجمع ناسا وقتل رجلا تميميا بالجزيرة(٢) . وأخذ ما معه ولما طلب اختفى .

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٣٨٧

(٢) الجزيرة : بلاد تشتمل على ديار بكر ، وديار مضر ، وديار

وعبر الفرات(١) ، إلى الجانب الشامى ، وبات يقطع الطريق هناك . ثم قصد بثلاثين من أصحابه إرمينية(٢) حيث يزيد بن مزيد الشيبانى الذى سره مقدمه فسرعان ما قوده(٣) . فآزره أبو السرايا وأتباعه فى قتال الخرمية(٤) هناك حتى أذلهم . وأخذ منهم غلامه أبا الشوك . وحين انعزل يزيد عن أرمينية بأخيه أحمد بن مزيد سرعان ما وجه هذا أبا السرايا طليعة لعسكر هرثمة بن أعين إبان فتنة الأمين والمأمون . ونتيجة لبسالته يومئذ استقطبه هرثمة وضمه إلى عسكره . فكان هذا مدعاة لأن تقصد أبا السرايا الأعراب من نواحى الجزيرة . حتى أضحى ومعه منهم نحو ألفى فارس وراجل أمكنه أن يستخرج لهم الأرزاق من هرثمة . وأصبح يلقب بالأمير ويخاطب به .

= ربيعة ، وهى تجاور بلاد الشام ، وسميت جزيرة لوقوعها ممتدة بين نهرى دجلة والفرات وقسم منها الآن بسوريا ، وقسم بالعراق ، وقسم بتركيا (مراصد الاصلاع للبغدادى حـ ١ ص ٣٣١ ، وأطلس العالم لانور الرفاعى ص ١٥ ، ٢٠) .

(١) الفرات : نهر بالعراق معروف . ماؤه شديد العذوبة (مراصد الاطلاع للبغدادى حـ ٣ ص ١٠٢١ ، والمعجم الوسيط لابراهيم مصطفى واخرين جـ ٢ ص ٦٨٥) .

(٢) إرمينية . مدينة وبلاد حصينة ، وصقع واسع عظيم فى جهة الشمال كان فى آسيا الصغرى . وقد ما كانت دولة مستقلة ، كثيرا ما تنازع على إمارتها الخلفاء العباسيون ، والروم البيزنطيون ، وحدها من برذعة إلى باب الأبواب ، والروم جزء منها بايران ، وجزء بتركيا ، وجزء بالاتحاد السوفياتى (مراصد الاطلاع للبغدادى حـ ١ ص ٦٠ ، وأطلس العالم لانور الرفاعى ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤) .

(٣) قوده : صيره قائداً .

(٤) الخرمية القائلون بالتناسخ والحلول والاباحة ، وهم صنفان ، أولون=

كان هذا كله فى حياة الخليفة الأمين . وإبان الشقاق بينه وبين أخيه المأمون . فلما انقتل وخلفه المأمون مكر هرثمة بأبى السرايا وشيعته فأنقصهم أرزاقهم . فاستاء منه . ثم استأذنه فى الحج . فأذن هرثمة له . ومنحه ساعتئذ عشرين ألف درهم سرعان ما وزعها أبو السرايا فى أصحابه ، ثم مضى قائلا لهم : (اتبعونى متفرقين) . ففعلوا . لكنه لم يتوجه للحج . وبدت أنها كانت منه حيلة يتوارى بها من وجه سيده الذى أغضبه ، بدليل أنه اجتمع معه نحو مائتى فارس من بين أولئك الصحب المتفرقين . فنزل بهم عين التمر (١) ، وحاصر عاملها واستولى على ما معه من أموال وفرقه على أصحابه ، ثم انصرف عنه ليلتقى فى عرض الطريق بعامل آخر ويأخذ ماله غصبا .

ولما فطن هرثمة بعد فترة وجيزة لحيلته أتبعه بجند ليعيدوه إليه لكن دون جدوى فقد هزمهم أبو السرايا . ولا ريب أن هرثمة قد أدرك وقتئذ إساءته لهذا الشيبانى المغامر وبطانته الذين جد بهم فى السير حتى دخل البرية(٢) فقسم الأموال عليهم بلا توان كعادته . فحمل ذلك الصنيع الكريم الذين كانوا قد تفرقوا عنه حين غادر هرثمة بخديعة الحج أن يلتفوا من حوله ثانية . فكثر بهم جمعه .

= (بحرة مزدكية) وصاحبهم مزدك القديم ، وخرمية بابكية ، وصاحبهم بابك الخرمى ، نسبة إلى بلدة بفارس (إيران) يعتدون جميعا إليها (المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين ج ١ ص ٢٢١)

(١) عين التمر : بلدة فى طرف بادية الشام على غربى الفرات (مراصد الاطلاع للبغدادى ج ٢ ص ٩٧٧)

(٢) البرية : الصحراء المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين ج ١ ص ٤٨ .

وسار نحو دقوقا(١) وعليها يومئذ أبو ضرغامة العجلى فى سبعمائة فارس . فاقتتلا بضراوة . فانهزم العجلى وأتباعه ولاذوا بقصر دقوقا . فتمكن أبو السرايا وجنده من محاصرتهم . لكنهم خرجوا بأمان وسلموه أموالهم .

ثم غادرهم إلى الأنبار(٢) وعاملها يومئذ إبراهيم الشروى . مولى المنصور الخليفة العباسى الأسبق . فقتله أبو السرايا . وجرد ما فى المدينة من أموال . وزايلها . ثم عاد ثانية إليها عند إدراك الغلال فاحتوى عليها.

وعندئذ سئم السرى هنا وهناك . فتوجه للرقة . وفى الطريق إليها مر فيمن معه بطوق بن مالك التغلبى الربعى وقومه يحاربون خصومهم من عرب قيس المضرية فشدوا أزرهم ضد القيسية طوال أربعة شهور متصلة حتى ظفروا بالنصر . وكان أبو السرايا طوال تلك الفترة يقاتل وقومه بهمة بالغة على غير طمع إلا تعصبا للربعية ضد المضرية هناك . حتى استسلمت قيس إلى طوق . فارتحل عنه أبو السرايا إلى الرقة . وبها التقى بابن طباطبا العلوى (٣) . فصمما على الانتفاضة ضد الخليفة المأمون . طمعا فى السيادة والملك .

مجمل سلوك أبى السرايا قبل مبايعته ابن طباطبا العلوى : ـ

يلاحظ على سلوك هذا المغامر ـ من واقع سيرته لدى المؤرخين ـ

---

(١) دقوقا : منطقة قرب الموصل بالعراق وبلدة بين إربل وبغداد (مراصد الاطلاع للبغدادى جـ ١ صـ ٥٣٠)

(٢) الأنبار : آثار مدينة كانت على نهر الفرات غربى بغداد ، أقام بها الخليفة أبو العباس عبدالله السفاح ـ أول الخلفاء العباسيين إلى أن مات (مراصد الاطلاع للبغدادى جـ ١ صـ ١٢٠)

(٣) الكامل لابن الأثير جـ ٦ صـ ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية جـ ١١ صـ ٣٨٦ ومابعدها

أنه كان من الجرءة والإقدام والمغامرة بمكانة . فقد كان يقطع الطريق على المارّة . وأحيانا يقتل بعضهم . ويستلب ما معهم جهاراً نهاراً . وسرعان ما يوزعه على شيعته بلا استثناء .

ونرى أن ظاهرة القسمة هذه قد درج عليها كثيراً . فغلبت عليه وعُرف بها . ليجذب بهـــا محبة قومه إياه . كى يتفانوا فى صحبته ومؤازرته أينما حلّ أو ارتحل . وفى أى مكان أقام به ونزل . فهى منه سياسة بعيد غورها . كما كان دائم التحرك السريع والتنقل المتوالى من موقع لآخر إشباعا لرغبته فى قطع الطريق وإزعاج الجماهير . والاستيلاء بالقهر والغلبة على ما يمتلكون . وحتى لا تقع عليه عين السلطة الحاكمة فتحاسبه . أيضا . كان لا يفرق بين ضحاياه سواء منهم عابر السبيل أو العامل لدى العباسيين . فيقنع بالانتصار عليهم وقبض أموالهم دون الاستيلاء على أرضهم أو بلدهم والمقام بينهم لإدارة شئونهم ، فهذا اللون سوف ينفذه مستقبلا عقب لقائه بابن طباطبا ومبايعته وتضافرهما معا فى قيام الثورة والدعوة ومحاربة العباسيين على ما سوف نوضحه فى مكانه من هذا البحث . وكذلك كان ذلك الأصفر متعصبا لعروبته بعامة ، ضد الأعاجم ، ولربيعة النزارية العدنانية ضد بنى عمومتهم قيس المضرية بخاصة ، وأنه فى الشهور الأخيرة من خلافة الأمين ، والأولى من خلافة المأمون كان لا يأمن على نفسه وقومه إلا بنى مزيد الشيبانى أولئك العرب الذين استقطبوه ، ثم أعزوا جانبه وأكرموا وفادته ، وهذا بالطبع يرجع إلى ما لمسوه فيه من شجاعة ونبل فضلا عن أنه عربى شيبانى من قبائلهم وبنى جلدتهم المشتهرين بالكثير من خلال الجرءة والكياسة والسخاء ، ولا يعدم أن تكون فيه تلك الفضائل كلها أو جلها ، وقد فهم من جانبه يومئذ مليا ـ كزيادة لروابط الود والحب بينه وبينهم ـ أنهم كانوا

فاتحة خير عليه ، حيث رقى فى كنفهم إلى مرتبة القيادة ، وظفر لنفسه من خصومهم بغلامه أبى الشوك الذى أضحى فيما بعد ساعده الأيمن طوال ثورته مع ابن طباطبا ضد المأمون ، كما بلغ ذلك الشيبانى أيضا بفضلهم منزلة رئيس طليعة بجيش هرثمة القائد العباسى العملاق ، وظل كذلك إلى أن أصبح أحد رجالات هرثمة البارزين فنح لقب أمير ، ويومئذ انجذبت الأفئدة نحوه كالأشبال حول الأسد ، فصار بموازرتهم ذا رأى وكلمة وسلطان ، فكان ذلك من حسن حظه ، ويمن طالع سيده هرثمة .

إلا أن هذا الصفاء لم يدم طويلا ، فقد شابه الكدر بإثارة هرثمة إياه حين ماطله فى دفع أرزاقه وقومه ، فكانت النتيجة أن يمم مغاضبا فى جموعه تلقاء الكوفة بحيلة(١) لم يفقهها ساعتئذ هرثمة .

ولا يخفى على ذى فطنة أن أبا السرايا - وقد عرف ماضيه ، وبلغ هذه المنزلة من القيادة والسيادة ، ووفرة الأتباع الذين كانوا أطوع إليه من بنانه ورهن إشارته ، وهم ما بين فارس وراجل مدجج بالسلاح - فى مكنته حينئذ وخاصة لو استظل بظل دعوة روحية مع أحد العلويين ، أن تجرى على يديه أحداث مذهلة ، ووقائع هائلة ضد الخليفة

---

(١) خلاصتها أنه استأذن القائد هرثمة فى أن يحج فسمح له ، ومنحه ساعتئذ عشرين ألف درهم فوزعها على أتباعه ، وأوعز إليهم سراً أن يتبعوه متفرقين . ففعلوا ، فغاب بهم عن عين هرثمة ؛ ولم يعد إليه ؛ ولم يحج ، وترى أنها كانت ظاهرة دهاء بارعة ، خدع بها أبو السرايا هرثمة بن أعين ، وسوف يكون لها أثرها السيء على مستقبل أبى السرايا وأتباعه حينما يلتقى بهم هرثمة ومن على شاكلته على أرض المعارك فى مناطق العراق المختلفة ليعفى ثورتهم ويقتلع جذور فتنتهم .

المأمون وبطانته الفارسية ما داموا لم ترق سياستهم فى نظر أبى السرايا والطالبيين ، والخليفة بمرو فى جوارهم تاركا بغداد وما إليها تموج بالثورات والفتن فى السنوات الأولى من خلافته سيراً على ما كانت عليه إبان الشقاق بينه وبين الأمين ، والصفحات التالية تكشف لنا النقاب عن الكثير من ذلك .

بيعة أبى السرايا لابن طباطبا وجهرهما بالدعوة والثورة واحتلال الكوفة :

لا ريب أن انتفاضة كهذه تحتاج منذ التفكير فيها إلى رجال يعززونها ، فيرسلون من عقولهم أشعة على الناس كأشعة الشمس ، بها يستنيرون ، وفى ضوئها يسيرون(١) ، وقد كان لها يومئذ ابن طباطبا وأبو السرايا ، ذلك المغامر الشرس الذى حين سئم طول التنقل فى البلدان(٢) استقر بالرقة فى غضون سنة ١٩٨هـ / سنة ٨١٣م - وهى السنة الأولى من خلافة المأمون - وهناك التقى وشيعته بابن طباطبا وبطانته فبايعه (٣) ، وصار يعمل لدعوته بكل ما يملك . وسرعان ما قررا التوجه إلى الكوفة - التى لا يغيب عن الذهن مبلغ تشيعها منذ عهد الإمام على بن أبى طالب - فقال أبو السرايا للعلوى : (انحدر أنت فى الماء ، وأسير أنا على البر حتى نوافى الكوفة) (٤) .

---

(١) حضارة الاسلام للدور . ص ٢٨٩ .

(٢) مقاتل الطالبيين للأصفهانى ص ٥٢١ ، والكامل لابن الأثير جـ ٦ ص ٣٠٤ .

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ٣٨٧ ، والكامل لابن الأثير جـ ٦ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٤) الكامل لابن الاثير جـ ٦ ص ٣٠٤

ونفهم من هذا أن العلوى وشيعته ركبوا الفرات ، والشيبانى وأتباعه استقلوا طريق البر ، لكن ورد العكس ، فقيل : (وركب - يعنى أبا السرايا من الرقة - سفينة فى الفرات ميمما صوب الجنوب ، فى حين اتخذ محمد طريق البر ، وبلغ الرجلان الكوفة فى يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ ٢٦ من يناير سنة ٨١٥م)(١) .

وسواء صح هذا أو ذاك ، فالمتبادر إلى الذهن تلازمهما زمنا ومكانا فى قطع المسافة بين الرقة - محل البيعة وبداية الدعوة للرضا من آل البيت والثورة ضد المأمون وأضرابه - والكوفة - المراد احتلالها - بحيث كان أحدهما وجوعه فى النهر ، والآخر وأعوانه قبالتهم على البر ، وفى ذلك من الاتحاد والنظام والعمل ما يبشر بخير للجميع يومئذ .

ولما بلغا الكوفة فى الخميس المشار إليه دخلاها بقوتيهما ، فابتدآ بالاستيلاء على قصر أحد الأثرياء العباسيين(٢) ، وملأ الجند الأيدى مما كان يذخر به يومئذ من أموال وجواهر عظيمة لا تحصى ، ثم احتلوا الكوفة عنوة وغلبوا عليها(٣)، ونحوا عنها العامل(٤) العباسى الذى كان نائباً فى إدارة شئونها عن أحد العباسيين(٥) المقيمين ببغداد حاضرة الدولة ، وعلى الفور قدم أهلها الطاعة والولاء للطالبيين ، وثبتت فيها قدم ابن طباطبا ، فأقام بها ، وأتته الجماهير ، أعراب وغيرهم ، تترى

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١١ صـ ٣٨٦

(٢) وهو : العباس بن موسى بن عيسى

(٣) المعارف لابن قتيبة صـ ٣٨٧

(٤) وهو : خالد بن محجل الضبي

(٥) وهو : سليمان بن أبى جعفر المنصور

من ضواحى الكوفة ، والمناطق المجاورة لها يبايعونه ، (١) فأصبح بذلك على حد تعبير ابن الأثير : أول من ظهر بالكوفة)(٢) .

ونفهم من هذا أن ظاهرة خروجه يومئذ بمؤازرة أبى السرايا كانت أول فتنة من نوعها تطل على الناس هناك برأسها فى صدر خلافة المأمون ، يقوم بها الطالبيون(٣) وذلك لشدتها وقوة بأسها واستشرائها وطول مدتها حتى أذهلت العقول ، وأقلقت البال ، وأقضت المضاجع ، بفضل الجهود المكثفة من طرف أبى السرايا الذى وقف يومئذ كالطود العظيم ، ورجالاته الأفذاذ من بين يديه ومن خلفه كالصم الصلاد يساندون بكل قوة وبسالة زعيم الدعوة ابن طباطبا وقومه الطالبيين وأتباعهم إبان ثورتهم ودعوتهم العلوية بشأن طلب الخلافة ولولاه وهو المغامر الشرس فى جحافله المستميتة المتفانية فى مساندته ، لما تمكن الطالبيون من سرعة إحراز تلك المكاسب الممثلة حينئذ فى البيعة لزعيمهم ابن طباطبا فى الرقة وملازمته فى الانتقال منها إلى الكوفة ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبرى جـ ١٠ صـ ٢٢٧

(٢) الكامل لابن الأثير جـ ٦ صـ ٣٠٢ .

(٣) كانت هذه الانتفاضة الكبرى التى قام بها ابن طباطبا العلوى وأبو السرايا أول ماظهر بالكوفة فى أوائل عصر الخليفة المأمون وضده ، ويؤيد ذلك ما بدا من أولئك الثوار من أحداث شغب واحتلال مدن وسربان سلطان وسك نقود للتعامل بها ، وجبى خراج وتعيين عمال وما إلى ذلك علناً فى قلب الدولة العباسية طوال عشرة شهور متصلة بذل الجيش الكثير فى القضاء عليها ، لذا لم تعتبر ثورة الحسن الهرشى السابقة عليها بنحو أربعة شهور فى أوائل عصر المأمون أيضا أول ماظهر حينئذ بالكوفة أنها أقل من هذه بكثير ، فلم يكثر جمعها ، ولم يكن فيها مثل أبى السرايا ، ولم تستول على أرض أو مدينة ، ولم تبلغ من عمرها سوى شهرين ، فقضت عليها القوات العباسية بضواحى الكوفة بسهولة .

والاستيلاء عليها عنوة وتنحية عاملها العباسي عنها، ومجيء شيعة أذرفات ووجدانا معلنين الولاء والطاعة لهم ومقرين ببيعة زعيمهم، أيضا لما ذاع صيتهم، وسرت أنباء دعوتهم وانتصارهم على أهل الكوفة بسرعة الصوت في ربوع العراق يومئذ كأرباب دعوة للرضا من آل البيت معارضين بذلك سياسة الخليفة المأمون وحزبه، وفي الوقت نفسه استولوا منهم على الكوفة، واستقلوا بها، فأصبحت علوية لا عباسية، وكأن ابن طباطبا صاحب دولة يدبر أمرها له أبو السرايا(١).

إنها الإرادة الثورية العربية النابعة من نفس ابن طباطبا والطالبيين والمتدفقة من شعور وإحساس أبي السرايا وأتباعه، قد بدت وذر قرنها في مواجهة الإرادة الفارسية الخصيمة الممثلة في بني سهل وشيعتهم والمؤيدة من طرف الخليفة المأمون طوال إقامته معهم بخراسان.

موقف أمير العراق عقب سقوط الكوفة في يد الثوار (موقعة شاهي):

غداة النضر المتوج باحتلال ابن طباطبا وأبي السرايا مدينة الكوفة عنوة، سخنت أذن الحسن بن سهل من سماع ذلك النبأ المفزع، وذهل لتلك المفاجأة التي أنجزت جهاراً نهاراً، وباتت على أثرها تلك المدينة وملحقاتها منسلخة عن جسد الدولة العباسية في مطلع خلافة المأمون لحساب الطالبيين، وسرعان ما استدعى أميرها المسئول عنها سليمان ابن المنصور من بغداد وعنفه كثيراً، ووصفه بالعجز والتقصير، ووصمه بضعف الرأي وسوء التدبير.

وعلى الفور فكر بجد واهتمام كيف يواجه ذلك التيار الثوري

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي جـ ١٠ صـ ٢٨٣.

الجارف ، ويصده ، قبل أن ينفث سمومه القاتلة فى مختلف أقاليم العراق(١) وغيرها ؟ فأعد جيشا عراقيا انتظم عشرة آلاف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، بقيادة زهير بن المسيب الضبي ، وبعث به من بغداد إلى الكوفة ـ المدينة والأرض العباسية التى احتلها أبو السرايا والطالبيون فى الأيام القليلة الماضية .

فلما أحس الثوار به تهيأوا لمواجهته ، وخفوا لملاقاته ، فى جيش كثيف فاقه غير مرة ، يقول بعضهم : (خرج مع أبى السرايا أكثر أهل الكوفة ... ومبلغهم كان زهاء مائتى ألف أو أكثر)(٢) ، فجرت

---

(١) حينئذ كان قد التف حول ابن طباطبا وأبى السرايا وأتباعهما ناس كثيرون ـ عدا أهل الكوفة ـ فبايعوه وعملوا تحت لوائه وبذلك نجح فى استقطابهم لدعوته وثورته . يقول نفر من المؤرخين : (لاسيما وأن أهل العراق خارجون من ثورة وهيجان كان بين الأمين والمأمون وقراتهما ، وما أن أحسوا بثورات الطالبيين حتى انخرطوا فى سلكها . وكان من اللازم أن تظل تلك الأيدى المرهوبة ـ يقصد طاهر بن الحسين ، وهرثمة بن أعين وجندهما ، فقد حاصروا بغداد سلفا . وتمكنوا من احتلالها ، وصرع الخليفة الأمين فى أواخر المحرم سنة ١٩٨ هـ سنه ٨١٢ ـ تظل إلى أن يستكين الناس فى العراق ويخضعوا تمام الخضوع) نقول : ولايختلف أثنان فى أن أمير العراق كان وقتئذ قد فهم الكثير عن أبعاد تلك الدعوة والثورة العلوية فى العراق ، وعن دور المغامر أبى السرايا وشيعته فى نجاحها : فشرع من جانبه يعمل بكل طاقاته على مقاومتها ، متكتما أخبارها عن أخيه الوزير وسيدهما الخليفة المأمون حتى لايتهماه بالضعف فى إدارته على العراق وغيره حينئذ ، لذا كان منهما فى غاية الحرج ، فضلا عن الجماهير المحيطة به ، فقد فهموا فيه ضعف السلوك وسوء التدبير فى سياسة الرعية بمناطق عمله (الكامل لابن الأثير حـ ٦ ص ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٦٠ ، ومقاتل الطالبيين للاصفهانى ص ٥٥١ ، ومحاضرات تاريخ الأمم الاسلامية للشيخ الخضرى حـ ٣ ص ١٧٥)

(٢) مقاتل الطالبيين للأصفهانى ص ٥٥١

على الفور بين الفريقين وقائع حامية عند قرية شاهي(١) وصنعبى،(٢) طوال يومى الثلاثاء والأربعاء الخاتمين لجمادى الآخرة سنة ١٩٩هـ/سنة ٨١٤م(٣) تحقق النصر فى نهايتها للطالبيين ، فقد تمكنوا بفضل تدبير أبى السرايا، ووفرة جندهم ، من التغلب على جيش الدولة وطحن معظمه(٤) واستباحوا عسكره ، وملأوا أيديهم مما كان يذخر به من أموال ومعدات ودواب (٥) .

وسرعان ما فرّ القائد زهير على أثر هزيمته منكود الحظ ، مشتت الفكر ، لائذاً بقصر ابن هبيرة(٦) البعيد عن الكوفة ، تصحبه جماعة من قومه ، لكنه خشى بطش أبى السرايا به فخف بعد قليل منه إلى بغداد ببقية من معه(٧) فدخلها متخفيا ، فلما نبىء به الحسن بن سهل استدعاه وأنبه ولامه بشدة ، وكاد يقتله ، ولكن الله سلم ، فعفا عنه(٨) .

---

(١) شاهى : موضع قرب القادسية والكوفة (مراصد الاطلاع للبغدادى جـ ٢ صـ ٧٧٧) .

(٢) صعنبى : قرية بالسواد قرب الكوفة (مراصد الاطلاع جـ ٢ صـ ٨٤١)

(٣) المختصر فى أخبار البشر لابى الفداء جـ ١ صـ ٢١

(٤) مقاتل الطالبيين للأصفهانى صـ٥٢٦

(٥) تاريخ الأمم والملوك للطبرى جـ ١٠ صـ ٢٢٧ . والكامل لابن الأثير جـ ٦ صـ ٣٠٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ صـ ٢٤٤ ، وشذرات الذهب لابن العماد جـ ١ صـ ٣٥٦ ، والنجوم الزاهرة لأبى المحاسن جـ ٢ صـ ١٦٤ .

(٦) قصر ابن هبيرة : ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، وإلى العراق فى عهد الخليفة الأموى مروان بن محمد ، بناه بالقرب من جسر سورا بالعراق [مراصد الاطلاع للبغدادى جـ ٣ صـ ١١٠١]

(٧) المعارف لابن قتيبة صـ ٣٨٧ .

(٨) مقاتل الطالبيين للاصفهانى صـ ٥٢٩

نهاية ابن طباطبا فجأة والسر فى ذلك :

إذا كانت القاصمة التى انتابت زهير بن المسيب بهزيمة جنده بضواحى الكوفة ـ بل وما سبقها من فرار عامل الكوفة منها ، وتوبيخ أميرها سليمان بن المنصور ، وما لحقها من هروب : زهير نفسه وطائفة من جنده نجوى بأنفسهم من وجه الثوار الطالبيين وقائد قواتهم أبى السرايا ـ قد أثرت كثيراً فى نفوسهم كقادة وعمال فى الدولة العباسية حينئذ ، وعلى سمعة الحسن بن سهل كأمير للعراق ، فإنها فى مقابل ذلك قد رفعت وقوت الروح المعنوية والطموحات لدى أبى السرايا وقومه بخاصة ، والطالبيين عموما بزعامة إمام الدعوة يومئذ ابن طباطبا العلوى الذى لم يهنأ بذلك الانتصار الباهر سوى بضع ساعات ، ووضع بعدها آخر أيام دنياه ، واستقبل أول أيام أخراه ، فقد جدّت فجأة ظاهرة غريبة وليدة ساعتها نمّت عن هلاك ذلك العلوى(١) فى يوم الخميس فاتح رجب سنة ١٩٩هـ / سنة ٨١٤م(٢) ، غداة النصر على الخصوم فى شاهى وصعنبا ، وبعد ثلاثة أسابيع فقط من بداية خروجه بإعلان دعوته وثورته واستيلائه بجهود أبى السرايا على الكوفة(٣) ، فكان مصابه الجلل ، على حين غفلة كأمير للشيعة وقتئذ محل(٤) ريبة ، ومثار جدل وبحث دقيق عن السبب من طرف المريدين بعامة ، والطالبيين بخاصة ،

---

(١) النجوم الزاهرة لأبى المحاسن حـ ٢ صـ ١٦٤ ، وسير أعلام النبلاء للذهبى حـ ١٠ صـ ٢٨٣ .

(٢) المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء حـ ١ صـ ٢١ .

(٣) خروج ابن طباطبا وأبى السرايا كان فى العاشر من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ سنة ٨١٤ م . ووفاة ابن طباطبا كانت فى غرة رجب من العام نفسه فبين الخروج والوفاة ثلاثة أسابيع تقريبا .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير حـ ١٠ صـ ٢٤٤ .

أسفرت نتائجه عن اتهام المغامر أبي السرايا بسمته ، في رأي البعض ، وعن وفاته معتلا دون أن تحوم شبهه سمة حول أبي السرايا ، في رأي آخرين ، (١).

وتتجلى إدانة الأصفر الشيباني في تدبير السم للعلوي ، أن هذا الإمام بحكم سلطانه الديني والسياسي إبان تلك الثورة العنيفة ، وزعامته للعلويين يومئذ ، حين خلصت له الكوفة ، ثم قرّت بعدئذ عينه بالنصر على جيش العباسيين بضواحيها في شاهي وصعنبا ، وأحرز جميع ما احتواه معسكرهم هناك مما يقصر عنه الوصف ، ويسيل له اللعاب ، حال بين أبي السرايا ورجاله الأشاوس ، وهم من هم في جلب ذلك الانتصار بفضل تدبيرهم ومهارتهم في إدارة رحى الحرب وإشعال نيران الثورات والفتن ضد العباسيين في مطلع خلافة المأمون ، وبين تلك الغنائم السمينة والاستيلاء على كنز زهير بن المسيب (٢) ، وكفّ يد أبي السرايا تماما عن كل ذلك ، ولقي تأييداً من الجماهير الطالبيين وشيعتهم حول هذا التصرف ضد أبي السرايا وقومة ، فحزّ ذلك في نفوسهم جميعاً ، وأصابت ذلك المغامر الشرس بسبب ذلك صدمة عنيفة ، وامتلأ فؤاده غيظاً وكيداً من ابن طباطبا وحاشيته ، فبات يندب حظه ، ويقلب كفيه على ما أنفق حياتهم من شجاعة ، وبذل في مؤازرتهم ونصرتهم من مغامرة ، وأسهم به معهم ضد خصومهم وبني عمومتهم العباسيين من فكر رتيب ، وتدبير محكم ، ورأى ألا يخضع لهم ويستكين ، وأمسى ما بينه وبين ابن طباطبا من حب خاطف كالزهرة ، يفوح بالعطر لكنه يذبل سريعاً ، وسرعان ما دبر السم لهذا العلوي بالذات ودون سواه ، فلم يمهله طويلا ، حتى اعتل فمات فجأة .

---

(١) مقاتل الطالبيين للاصفهاني ص ٥٣١ وما بعدها .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ١١ ص ٣٨٦ .

مبررات اتهام أبي السرايا باغتيال ابن طباطبا :

كان ظهور ابن طباطبا على أبي السرايا ، وكفه يده عن التدخل في أمور رأى أنها ليست من حق ذلك الشرس قد شوه صورة العلاقة بينهما ، فانتهت حياة الزعيم العلوى بمكيدة ضده من المغامر أبي السرايا .

زد على هذا أن تواضع ابن طباطبا وعدله كان على النقيض من أطماع وطموحات أبي السرايا التي شهد بها ماضيه ، وكثرة جمعه ، واستيلاؤه على الكوفة عنوة ، وإدارتها لحساب الطالبيين وانتصاره على جند زهير بن المسيب بالأمس وقبض غنائمه بالإضافة إلى ما قر في نفسه من شراسة ، وزهو وغرور وإعجاب بها أخذ ينمو ويترعرع نتيجة يمن طالعه مع ابن طباطبا والطالبيين فيما أحرزوه من مكاسب ضد بني عمومتهم العباسيين يومئذ ، كل هذا قد حمله على سرعة التفكير في أنه من حقه الإسهام في جميع شئون الطالبيين حول دعوتهم وثورتهم ضد بني عمومتهم العباسيين ، ينفذ ما يشاء منها برأيه ، فيولي ويعزل دون الرجوع في شيء منها إلى الغير أياً كان (١) ، فجاء موقف ابن طباطبا منه بشأن غنائم جند زهير بن المسيب على غير مايهوى ، وعرف أن بغيته لن تتحقق إلا بالتخلص من ابن طباطبا وتعيين خلف له من العلويين يرضخ لتعليماته ، فسرعان ما فعل فعلته يقول المؤرخون : (ثم سمته أبو السرايا بن منصور القيم بأمره ، ليستبد بالأمر(٢) ، ولأنه علم أنه لا حكم له مع ابن طباطبا(٣) ، لكونه لم ينصفه في

---

(١) محاضرات تاريخ الامم الإسلامية للشيخ الخضرى حـ ٣ صـ ١٧٦.
(٢) تتمة المختصر لابن الوردى حـ ١ صـ ٣١٨.
(٣) المختصر في أخبار البشر لابن الفداء حـ ١ صـ ٢١ .

الغنيمة)(١) ، وتلك هى المبررات التى نرى أنها ألصقت به تهمة اغتيال ابن طباطبا فهلك فجأة .

وإذا كان البعض يبرىء ساحة ذلك المغامر من تدبير جريمة السم القاتل التى أتت على حياة ابن طباطبا من قواعدها ، محتجا بأنه مات معتلا (٢) ؛ فإننا نرفض ذلك لأنه لا ينهض أن يكون دليلا على إعفائه من تلك التهمة ، ثابتة الأدلة كما سبق ، ومن الممكن أن نوفق بين الرأيين موته مسموما بتدبير أبى السرايا ، أو معتلا ، بأنه حين تناول السم بأى صورة سرعان ما أنتابته علة حادة لم تمهله طويلا فهلك .

من المسئول عن تلك المأساة ؟

أرى أن إسهام الطرفين واضح فى تلك النكبة ، فقد أدين فيها أبو السرايا وابن طباطبا ، وكان من الممكن تفاديها بعد شىء من التدبر والتفكير ، لكن من الذى يرد على الله القدر ، ؟ وما يقضى فسوف يكون ، فقد كان يلزم الإمام العلوى أن يعرف للمغامر الشيبانى حقه اللائق به كقائد عملاق ذى مكانة بارزة بين الجند ، وماضيه قبل أن يتعارفا يشهد له بذلك ، زد على هذا أن الدعوة للرضا من آل محمد ﷺ كانت يومئذ بزعامة ابن طباطبا هذا فى أمس الحاجة لمثل أبى السرايا وجموعه لكى تنمو وتنتشر .

وإذا كان ابن ظباطبا وقتئذ قد فهم فى قرارة نفسه أن جميع ما يناط بالدعوة والثورة من شأنه وحده التصرف فيه بحكم إمامته وعدالته ، وخشية تطاول الغير عليه مستقبلا كأبى السرايا بالتدخل فى تلك الشئون

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد ج ١ ص ٣٥٦

(٢) مقاتل الطالبيين للأصفهانى ص ٥٣١ ، وما بعدها .

بوحى من أطماعه وطموحاته وإغتراره بنفسه وشراسته . لذا حرمه وأذله وكف يده إن لم يكن عن جميع الشئون فعن أهمها ، فإننا لن نعفيه من المؤاخذة . وقصر النظر السياسى فى معاملة أبى السرايا ، وقد كانت له مندوحة عن ذلك السلوك غير الكريم ضده ، بأن يطلق يده فى بعض الأمور مرة ، ويكفها أخرى ، أو يجعل له حق التصرف فى بعضها ، ويختص هو ببعضها الآخر ، وهكذا .

فلما لم يكن ابن طباطبا على مارامه منه أبو السرايا حملها له ثم اغتاله ، لكن الواجب كان يقضى عليه هو الآخر ألا يقدم على إهلاكه بأى صورة ، مهما كانت الظروف ، إذ هما معاً كإمام وقائد لدعوة دينية وثورة صاخبة مازالا فى بداية الشوط ، ويجب أن يتضافرا فى مساندتها لتؤدى دورها ، وتؤتى الثمرة المرجوة منها ، ولا يتحقق ذلك إلا بالتفانى فى الحب والإخلاص ، والتضامن فى الرأى والكلمة والتنفيذ فلولا انخراط ذلك الأصغر المغامر فيها واستظلاله وقومه بلواء ابن طباطبا والطالبيين لما حاز تلك المنزلة فى الحرب والقيادة والتى جذبت نحوه الأفئدة حتى انزعج منها العباسيون فى مطلع خلافة المأمون . فضلا عن سائر عماله على الأقاليم . وما زاد ذلك الشيبانى عما عرف به سلفا قبل إسهامه فى مساندة هذه الدعوة والانتفاضة من أنه كان أحد الشطار قاطعى الطريق على المارة . وسالبى أموالهم ، وقاتلى بعضهم ، والهاربين من وجه العدالة ، ثم اللائذين بعد طول السرى وفعل المنكرات بحمى بنى مزيد الشيبانى تارة ، والمؤتمرين بأمر القائد هرثمة ابن أعين تارة أخرى ، وهكذا ، إذن : وقوع ذلك الحادث الذى راح ضحية ابن طباطبا يسأل عن أسبابه هو وأبو السرايا معاً .

أبو السرايا يقيم محمد بن محمد خلفاً لابن طباطبا :

لابد أن تكون نهاية ابن طباطبا فجأة بأى سبب قد انخلعت لها قلوب

شيعته بعامة ، وعشيرته الطالبيين بخاصة ، فقد رحل عنهم وهم فى مفترق طرق ، بين دعوة لا تزال فى دور النمو وثورة فى أول الطريق - من جهة - وبين خصوم عباسيين يتربصون بهم الدوائر ويعدون العدة لتطويقهم من بين أيديهم ومن خلفهم للقضاء عليهم ، وقائد لجندهم مغامر شرس ضحى بالأمس بإمامهم ، وبات ينظر فى شئونهم بمفرده دون استشارتهم - من جهة أخرى - .

كانوا يومئذ بين فكى أسد ، ولابد أن أبا السرايا قد تنفس الصعداء بهلاك زعيمهم العلوى ، وغمره السرور بذلك وتعمية الأمر عليهم وصرف نظرهم عن اتهامهم إياه باغتياله(١) سرعان ما رأى أن يقيم مكان ذلك الحسنى العلوى . حسينيا علوياً(٢) ؛ دون استشارة أحد الطالبيين أرباب الدعوة والثورة فى ذلك .

يقول المؤرخون : (ومات ابن طباطبا : فنصب أبو السرايا مكانه فى الحال فتى من العلويين(٣) . وتم تعيينه صورة (٤)) .

وكان تركيزه على إمامة ذلك الفتى الغلام الحدث الأمرد دون سواه من العلويين بالعراق - وربما كان هناك منهم من فاقه فى مختلف المجالات ممن تزهو بهم الدعوة وتزدهر ، وتقوى بهم الثورة وتنتصر - ليحتفظ

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى جـ ١٠ صـ ٢٨٣

(٢) هو : محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب .

(٣) المعارف لابن قتيبة ص ٣٨٨ . والنجوم الزاهرة لأبى المحاسن جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٤) المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء جـ ١ صـ ٢١ ، وسير أعلام النبلاء للذهبى جـ ١٠ صـ ٢٨٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد صـ ٣٥٦ .

لنفسه بالسلطان الحقيقى ، ويسك نقوداً فى كافة(١) للتعامل بها ، و وليتمكن من إجالة النظر ، وإعمال الفكر والتدبير بمفرده فى الكوفة وضواحيها التى دانت وقتئذ للطالبيين بمؤازرته إياهم . وذلك عدا مايستجد من استيلائه على مدن وأقاليم أخرى بالعراق وغيره وأخيراً حتى لايعارضه فى أموره أو بعضها أحد غير ذلك الأمرد .

يقول المؤرخون : (.. وإليه الأمور كلها)(٢) .

ونرى أن هذا العمل التعسفى كان من الجور بمكان . لكن لانذهب بعيداً إذا أيقنا أن من سولت له نفسه بأن يضحى بإمامه وولى نعمته ابن طباطبا ، فى استطاعته بل من السهل عليه ، وبدون أدنى معارضة أن يقيم مكانه من يهواه من بين صنائعه الذين هم من حداثة السن وضعف العقل والرأى بمكانه ، فإذا قال صدقوه ، أو فعل أيدوه ، وإن أصاب أو أخطأ لم يسألوه ، ولم يخالفوه ، والأيام التالية سوف تكشف للمنصف عن مدى عقم ذلك السلوك ، وتلك السياسة ، وتبين أن الشر بالشر والبادى أظلم .

معركة الجامع :

لم تستغرق ظاهرة هلاك ابن طباطبا ، وقيام خلفه محمد بن محمد مكانه إلافترة وجيزة ، حرص الطالبيون وأبو السرايا عقبها مباشرة على مواصلة جهودهم المكثفة فى نشر الدعوة ، ومقاومة خصومهم العباسيين بالعراق فى صدر عصر المأمون .

(٢،١) تاريخ الامم والملوك للطبرى جـ ١٠ صـ ٢٢٨ ، والكامل لابن الاثير جـ ٦ صـ ٣٠٥ .

(٣) مقاتل الطالبيين للاصفهانى صـ ٥٣٠ .

فقد روى المؤرخون أن جيش زهير بن المسيب الذى هزموه ، وأحلوا بداره النكبة فى الأيام القليلة الماضية إبان حياة ابن طباطبا، قبل أن يصل نبأ هزيمته إلى أمير العراق الحسن بن سهل ، كان قد وجه من لدنه ببغداد ـ مقر عمله ـ جيشا آخر قوامه أربعة آلاف مقاتل(١) إلى منطقة النيل بالعراق ، بقيادة عبدوس بن محمد بن خالد المروروزى ، فرابط مؤقتا بتلك المنطقة .

ومن واقع حرص أمير العراق على توجيه القوات يتبع بعضها بعضا لدفع أولئك الثوار ، ندرك حجم تأثير تلك الثورة الشرسة من جانب الطالبيين وقائد جندهم أبى السرايا على مناطق العراق ، وجزع الأمراء العباسيين منها ، وتكثيفهم الجهود لمصادمتها ، وزاد الطين بلة سماع الحسن بن سهل حينئذ بهزيمة زهير بن المسيب وجيشه فأسقط فى يده وحسب لأبى السرايا والطالبيين ألف حساب .

لكنه برغم ذلك لم ييأس ، فأصدر أوامره لجيش عبدوس المرابط بالنيل بسرعة التوجه للكوفة ، فلبى قائده الرغبة ، وبينما كان بقواته فى مكان يطلق عليه الجامع(٢) ، شعربه الخصوم فخفوا من الكوفة فى جرعة وحماس شديد للقائهم وفى اليوم السابع عشر من رجب سنة ١٩٩هـ سنة ٨١٤ م ـ أى بعد قيام الثورة وتملك الكوفة وضواحيها بسبعة وثلاثين يوما وعقب هزيمة جيش زهير بن المسيب ووفاة ابن طباطبا العلوى بنحو أسبوعين ونصف ـ لقنوا الجيش العباسى درساً قاسيا من خلال حرب طاحنة ، راح ضحيتها يومئذ القائد عبدوس ، ووقع

---

(١) مقاتل الطالبيين للأصفهانى ص ٥٣٠

(٢) الجامع : موضع بين بغداد والكوفة : (تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٤٦) .

أخوه هرون أسيراً ، واستباح عسكرهم ، وحلت بهم النكبات(١) من كل جانب .

يقول المؤرخون : (فلم يفلت منهم أحد ، كانوا بين قتيل وأسير ، وانتشر الطالبيون فى البلاد ، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة(٢) ونقش عليها : (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)(٣) .

وهنا نلاحظ سمو منزلة أبى السرايا والطالبيين ، ويمن طالعهم فى انتصاراتهم الباهرة المتكررة على خصومهم العباسيين فى أوائل عصر المأمون ، وإحرازهم المكاسب الهائلة من ورائهم ، ولما تمض على بداية دعوتهم وانتفاضتهم وانشقاقهم على المأمون ، وسيطرتهم التامة على الكوفة وماجاورها سوى نحو خمسة أسابيع(٤) ، أنجزوا خلالها احتلال الكوفة وضواحيها ، وإدارتها وجبايتها لحسابهم ، وهزيمة جيشى زهير وعبدوس وعددهما أربعة عشر ألف مقاتل ، والتضحية بعبدوس نفسه عدا مئات القتلى وأسر أخيه هرون ضمن مئات الأسرى ، وقبض غنائمهما ، وجميع محتويات معسكريهما ، الأمر الذى فهمنا منه مبلغ عنفوان تلك الانتفاضة ، وشمول فتنتها ، ومهارة القائمين بها فى كافة المجالات ، ومنها كسب الوقت لخوض معارك أعنف ، وجلب

---

(١) المعارف لابن قتيبه ص ٣٨٨ ، مقاتل الطالبيين للأصفهانى ص ٥٣١ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبرى حـ ١٠ ص ٢٢٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير حـ ١٠ ص ٤٤ .

(٣) سورة الصف آية ٤ .

(٤) بدايتها العاشر من جمادى الاخرة سنة ١٩٩هـ/ سنه ٨١٤م ، ونهايتها السابع عشر من رجب من العام نفسه .

انتصارات جديدة ، والسيطرة على مدن أخرى وأموال وأعيان ، فى حين كان الخليفة ـ المأمون قابعاً فى مرو بجوار وزيره الفضل بن سهل تعمى عنه أخبار العراق وما يجرى فيه .

إحرازانتصارات أخرى للطالبيين بجهود أبى السرايا :

كانت الانتصارات الرائعة . والمكاسب العظيمة التى حصل عليها الطالبيون وأبوالسرايا من خصومهم العباسيين فى مطلع خلافة المأمون ـ وأجلها استيلاؤهم على مدينة الكوفة واتخاذها قاعدة لأعمالهم السياسية والعسكرية ـ قد قوت فيهم غريزة الطمع والطموح عن ذى قبل فى إحرازا انتصارات جديدة على أولئك الخصوم واحتلال مواقع هامة ومدن أهم ، يمكنهم ، أن يتوسعوا فيها وما وراءها بنشر دعوتهم ، وفرض ثورتهم وبسط نفوذهم .

فدفعهم الأمل والتوقان إلى الخلافة والدولة أن يستولوا عنوة تارة ، وبلا مقاومة تارة أخرى ـ بعد الكوفة ـ على كل من : قصرابن هبيرة ، وواسط(١) ، والبصرة(٢) ، والمدائن(٣) ، وفارس

---

(١) واسط : هى واسط الحجاج بن يوسف الثقفى . مدينة كانت مشهورة بالعراق . متوسطة الإقليم بين الكوفة والبصرة . فكل واحدة منهما تبعد عنها خمسين فرسخا ـ أى نحو مائتين وأربعين كيلو متر ـ (المعجم لياقوت حـ ٥ ص ٣٤٧ ، ومراصد الاطلاع البغدادى حـ ٣ ص ١٤١٩ ، والمصباح المنير للفيومى حـ ٢ ص ١٤٤) .

(٢) البصرة : هى المدينة العظمى المشهورة بالعراق (مراصد الاطلاع للبغدادى حـ ١ ص (٢٠١) .

(٣) المدائن : سبع مدن كانت لأكاسرة الفرس بجانبى نهر دجلة كل مدينة منها بجانب الأخرى وكان بها القصر الأبيض لهم ، ومقر حكومتهم (معجم

والأهواز(١) ، والحجاز . واليمن ، وما إليها ، مما كان ثمرة دعوتهم ، ونتيجة كفاحهم وثورتهم وطموحهم الذى سنذكره فيما بعد ، وولوا عليها عمالا لهم .

الأمر الذى نفهم منه ملياً ثقل كفة أبى السرايا والطالبيين ذوى الأيدى المرهوبة يومئذ ، وخفة كفة خصومهم والاستهتار بهم ، بدليل هزائم جنديهم فى موقعتى شاهى والجامع سلفاً ، وفرار القائد زهير فى جماعة ، وهلاك عبدوس فى أخرى ، وأسر أخيه هرون (٢) فى طائفة من قومه . لذا أصبح الطريق ممهدا أمام أرباب تلك الدعوة الثوار والسبيل آمنة من الكوفة إلى قصر ابن هبيرة - الذى بات خاليا من زهير وأتباعه - فليس به ديار ولا نافخ نار . فاستولى عليه أبو السرايا بقواته دون أدنى مقاومة . وصيره - بعد الكوفة - معسكر الجيوشه وفرقه الاستطلاعية

البلدان لياقوت جـ١ ص ٨٥ ، ومراصد الاطلاع للبغدادى جـ ٣ ص ١٢٤٣ ، وأخبار الدول للقرمانى جـ ٦ ص ٩٩) .

(١) الأهواز : كانت منطقة واسعة تضم سبع نواح بين البصرة وفارس (إيران) لكل ناحية منها اسم : والأهواز يجمعهن وهى خورستان اليوم بايران ومدينة الأهواز ما تزال قائمة على نهر الكارون الذى يمد شط العرب فى إيران (معجم البلدان لياقوت جـ ١ ص ٣١٤ ، ومراصد الاطلاع للبغدادى جـ ٩ ص ١٣٥)

(٢) التزمت الروايات الصمت عن هارون هذا . عقب وقوعه فى أسر أبى السرايا والطالبيين إبان موقعة الجامع التى انقتل فيها أخوه عبدوس وتبدد شمل جندهم والمظنون أنه هرب من سجنه أو أخلى سبيله بالعفو عنه . وسوف يظهر مستقبلا ليتولى بنفسه من طرف الحسن بن سهل أمير العراق تنفيذ إعدام خصمه أبى السرايا ثأراً منه لأخيه عبدوس .

التى كانت تجوس حينئذ خلال الديار العراقية فى مناطق كوثى(١) ونهر الملك(٢) وما إليها تتلمس أخبار الغدو .

وفى الوقت نفسه أعدوا جيشا من ذلك المعسكر الجديد لمهاجمة واسط ، التى ما أن نبىء به أميرها(٣) العباسى حتى خف لمصادمته خارج المدينة فى معركة ساخنة أسفرت نتائجها عن تقهقره أمام الخصوم . فاستولوا منه على واسط بعد أن أبادوا من جنده فريقا ، وأسروا آخر ، وفرت البقية ـ التى كتبت لها النجاة ، ووهبت لها الحياة ـ معه إلى بغداد لائذين بحمى أمير العراق الحسن بن سهل على غرار ما صنع زهير ابن المسيب ورفاقه سلفا .

ولما لم تبق أمام الثوار فى تلك الأرجاء العراقية سوى البصرة ، فقد وجهوا إليها جنداً من لدنهم دخلها دون مقاومة(٤) ثم واصلوا زحفهم صوب المدائن فاحتلوها وما إليها (٥) كفارس والأهواز .

زد على هذا كله أنهم وجهوا جيوشاً ضخمة وقتئذ إلى الحجاز واليمن فتمكنت من اقتحامهما عنوة واحتلتهما فقويت نتيجة ذلك النشاط الدعوى والثورى البارز شوكة(٦) هؤلاء الطالبيين ومغامرهم الشرس أبى

---

(١) كوثى : قرية قديمة ونهر بالعراق (مراصد الاطلاع حـ ٣ ص ١١٨٥) .

(٢) نهر الملك : منطقة فسيحة بنواحى بغداد . أسفل من نهر عيسى . بها ثلاثمائة وستون قرية بعدد أيام السنة . يأخذ من الفرات الاعظمى حيث يصب آخره فى دجلة (عجائب المخلوقات للقزوينى حـ ١ ص ٢٥٨ ، ومراصد الاطلاع للبغدادى حـ ١ ص ١٤٠٦) .

(٣) وهو : عبد الله بن سعيد الحرشى .

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبرى حـ ١٠ ص ٢٢٨ .

(٥) المعارف لابن قتيبة ص ٣٨٨ .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير حـ ١٠ ص ٢٤٤ .

السرايا وعظمت الفتنة(١) فأضحوا - يحدوهم حسن الحظ ويمن الطالع وذيوع الصيت والصوت وظهورهم بمظهر الثورة المفعمة بالقوة والبأس الشديد فيما استولوا عليه من قرى العراق ومدنه ، وغير ذلك كالحجاز واليمن - أضحوا كأنهم أرباب دولة محدودة(٢) فى قلب دولة ممدودة سرعان ما ولو الأمراء عليها من طرفهم . نذكر منهم . على البصرة : العباس بن محمد بن عيسى بن محمد - الجعفرى الطالبى - وعلى الأهواز : زيد ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق - الذى سار إلى البصرة فغلب عليها . ونحى عنها ذلك الأمير الجعفرى الطالبى . ووليها مع الأهواز . وعلى المدائن: محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب - الذى أمره أبو السرايا يومئذ بإتيان بغداد من قبل الجانب الشرقى . فلبى الرغبة وأتى المدائن وظل فيها . ثم وجه عسكره منها إلى ديالى(٣) . وعلى

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد حـ ١ ص ٣٥٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى جـ ١٠ ص ٢٨٣ وهذه الدولة حديثة العهد قصيرة الأجل سريعة الزوال . كانت قاعدتها الكوفة . ورئيسها - صورة - إمام الدعوة الرضا من آل البيت . وزعيم الثورة يومئذ محمد بن محمد العلوى وقائدها جندها - وبمعنى أصح المسئول الأول والأخير فيها ومؤسسها الحقيقى - أبو السرايا والنقود المتداولة بها كانت دراهم من فضة مسكوكة بالكوفة . وانتظمت معظم أقاليم العراق العربى فضلا عن الحجاز واليمن . وقد انتشر عمالها على تلك البلدان لمزاولة أنشطتهم المختلفة بها ، ونتيجة لهذا بات أمير العراق الحسن ابن سهل وبطانته يحسبون لتلك الدولة المستحدثة - التى لم يستغرق تكوينها سوى بضعة شهور - ألف حساب ، ويكتمون كافة أنبائها عن الخليفة المأمون المقيم حينئذ بخراسان خشية بطشه بهم لتهاونهم فى تكشيف جهودهم ضد القائمين بها .

(٣) ديالى : هو تامرا منطقة واسعة بالعراق . شرقى نهر دجلة ، وشمال بغداد . وما تحت بعقوبا يسمى بعقوبا ، ومصبه فى نهر دجلة =

فارس : إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق . وعلى مكة : الحسين الأفطس بن الحسن بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب - الذى جعل أبو السرايا له موسم الحج عامئذ ١٩٩ هـ / ٨١٤ م . وعلى اليمن: إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق .

ومن خلال هذا الغرض نلاحظ أن جميع هؤلاء الأمراء كانوا من بين الطالبيين . فمنهم الجعفرى . ومنهم العلوى - من سلالة الحسن . أو من أحفاد الحسين - وأن أبناء موسى(١) الكاظم كان لهم نصيب الأسد فى تلك الوظائف . مما يؤيد مبلغ ثقة إخوانهم الطالبيين وأبى السرايا فيهم يومئذ : وأنهم كانوا ذوى جرءة وبسالة وبطش شديد بخصومهم . وخبرة ومهارة فائقة فى الشئون الإدارية . وسياسة الرعية .

= يسمى فم ديالى : [مراصد الاطلاع جـ ٢ ص ٥٤٨ ، وأطلس العالم لأفرد رفاعى ص ٢٠] .

(١) نور الأبصار للشبلنجى ص ١٣٥ .